شرح

تجريد التوحيد المفيد

تأليف

الإمام العلامة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي

(٧٦٦-٨٤٥هـ)

لفضيلة الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

ابن الجزري

مكتب ابن الجزري للبحث العلمي والتفريغ الصوتي

الدَرْسِ (٤)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْصَّلَاةُ وَالْسَّلَامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أما بعد؛

فإن أفضـل المجالس، وأكرم المجالس مجلس يُذكر فيه الله -سـبحانه وتعالىٰ-، ويُنشـر فيه العلم، وَيُبَيَّنُ فيه الحق، ويعظمُ فضـلهُ إذا كان في بيت من بيوت الله، ويعظم فضلهُ إذا كان في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فمن أتى مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليعلّم خيرًا أو ليتعلمه؛ فإنه موعودٌ بأن يفوز بأجر الحاج الذي قد تم حجه، وبأجر المجاهد في سـبيل الله عزَّ وجلَّ مع أجر طلب العلم، وهو جالس في روضة من رياض الجنة، فحلق الذكر رياض الجنة تحف الملائكة أهلها، ويركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا، ويذكر الله أهلها فيمن عنده، فنسأل الله عزَّ وجلَّ الذي رزقنا هذا المجلس أن يكرمنا بهذا الفضل وزيادة من عنده -سبحانه وتعالى-، نجتمع في مسجد رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على علم يتعلق بحق ربنا علينا ألا وهو التوحيد، والمسلم إذا سمع التوحيد ينشرح صدره، وتقبل نفسه، ويفرح بما يسمع.

في هذا المسـجد بعد فجر السـبت من كل أسـبوع نشرح كتاب تجريد التوحيد المفيد لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي، المتوفى سنة ثمانمائة وخمس وأربعين من هجرة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد علمنا أن من أقر بربوبية الله عزَّ وجلَّ، وربوبية الله عزَّ وجلَّ تدل عليها آيات كثيرة: آيات نقلية، وآيات كونية، وآيات نفسـية، ودلالات كثيرة، من أقر بربوبية الله عزَّ وجلَّ فإن ذلك يستلزم أن يقر بألوهية الله، وأن الله -سبحانه وتعالى- هو المستحق وحده للعبادة، فإذا هدي

إلى ذلك هداية البيان علم ذلك، وصدق ذلك، وقبل ذلك، وانقاد إلى ذلك، إلا أن يكون هناك خلل سنشير إليه لاحقًا إن شاء الله عزَّ وجل.

وقد عرفنا معنى الرب، وشرعنا في الكلام عن معنى الله، فنواصل قراءة ما سطره هذا الإمام -جزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء-، ونعلّق عليه، فليتفضل الابن نورالدين -وفقه الله والسامعين- يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فاللهم اغفر لنا ولشيخنا وللسامعين.

قال العلامة أحمد بن علي المقريزي -رحمه الله تعالىٰ- في كتابه: تجريد التوحيد المفيد: [واعلم أن أنفس الأعمال وأجلّها قدرًا: توحيد الله -تعالىٰ-].

(الشرح)

هذه الجملة جملة جميلة جدًّا، وصادقة جدًّا، يفرح بها الموحد، ولا يمل من عرف حق ربه من سماعها، فالتوحيد أنفس الأعمال، وأجمل الأعمال، وأجل الأعمال، وأثقل الأعمال في الميزان، التوحيد كنز المسلم، وأغلى ما عند المسلم، وأعلى ما عند المسلم، التوحيد من أجله خلق الأنس والجان، التوحيد به بُعِثَ الرسل أجمعون، التوحيد هو مفتاح الخير في الدنيا والآخرة، تحت رايته الخير كله في الدنيا والآخرة، التوحيد به الأمن في الدنيا والآخرة، التوحيد به طمأنينة القلب، التوحيد نعيم الدنيا، وطريق نعيم الآخرة، التوحيد أول الأعمال، فلا يقبل العمل إلا من موحد، ولا يقبل العمل إلا إذا كان فيه توحيد.

وقد تقدم الكلام عن هذه الجملة، وهذه الجملة من كلام الإمام المقريزي -رحمه الله عزَّ وجل- قدم بها لما بعدها، وسأنبئكم -إن شاء الله- لماذا ذكر هذه الجملة قبل الكلام الذي بعدها، وسنقرأ الكلام الذي بعدها كله، ونعلق عليه كله، ثم نرجع إليه فنقرأه تفصيلًا جملة جملة.

(المتن)

قال -رحمه الله تعالى-: [غير أن التّوحيد له قشرتان:

الأولىٰ: أن تقول بلسانك: لا إله إلاّ الله، ويسمّىٰ هذاالقول توحيدًا، وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارىٰ، وهذا التّوحيد يصدر أيضا من المنافق الذي يخالف سرّه جهره. والقشرة الثانية: أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول، بل يشتمل القلب علىٰ اعتقاد ذلك والتصديق به، وهذا هو توحيد عامة النّاس.

ولُبَاب التّوحيد: أن يرىٰ الأمور كلها لله – تعالىٰ –، ثم يقطع الالتفات إلىٰ الوسائط، وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها، ولا يعبد غيره.

ويخرج عن هذا التّوحيد: أتباع الهوىٰ، فكلّ من اتّبع هواه فقد اتّخذ هواه معبوده، قال الله – تعالىٰ –: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}.

وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده إنما عبد هواه، وهو ميل نفسه إلىٰ دين آبائه، فيتبع ذلك الميل، وميل النفس إلىٰ المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوىٰ.

ويخرج عن هذا التوحيد: السخط علىٰ الخلق، والالتفات إليهم، فإن من يرىٰ الكل من الله كيف يسخط علىٰ غيره أو يأمل سواه؟ وهذا التوحيد مقام الصديقين].

(الشرح)

هذا الكلام فيه مراتب حصول التوحيد، فالتوحيد له حقيقة، وله تحقيق:

فحقيقة التوحيد: هي التي يثبت بها التوحيد، فالتوحيد يثبت بالشهادتين، فإذا نطق الإنسان الشهادتين ثبت له التوحيد ظاهرًا، وعاملناه معاملة المسلم، فإن كان يعتقد ذلك بقلبه ثبت إسلامه ظاهرًا وباطنًا، فغذا سلم من النواقض التي تنقض الإسلام والتوحيد استقر إسلامه ودام.

وأما تحقيقه: فشيء فوق الإتيان بالحقيقة.

وهو مرتبتان:

الأولى: تحقيق كمال التوحيد الواجب، وذلك بالإقرار بعبودية الله عزَّ وجلَّ، والبراءة من الشرك، والعمل بذلك، السلامة من الشرك كله كبيره وصغيره، ظاهره وخفيه، وبفعل الواجبات مع الاستطاعة، وترك المُحَرَّمَاتِ، هذا تحقيق كمال التوحيد الواجب، هذا واجب على المسلم.

هذا الكمال الواجب يكون: بالسلامة من شوائب الشرك، وشوائب البدعة، وشوائب المعصية، السلامة من شوائب الشرك كله، السلامة من شوائب البدع كلها، السلامة من المعاصي كلها، فمن وحد الله في ألوهيته، ولم يعبد إلا الله، وبرئ من الشرك كله، وسلم من الشرك كله، وسلم من البدع كلها، وفعل الواجبات عليه ما استطاع، وترك المحرمات، فقد أتى بكمال التوحيد الواجب.

وأما المرتبة الثانية في تحقيق التوحيد، فهي: تحقيق كمال التوحيد المستحب؛ وذلك بما تقدم في مرتبة تحقيق كمال التوحيد الواجب، مع الإكثار من فعل المستحبات، وترك المكروهات، وترك فضول المباحات، مع انجذاب القلب بكليته إلى الله، حتى يتحقق في العبد أنه لا يتطير أبدًا، ولا يسترقي، ويتوكل على الله في أموره كلها توكلًا تامًا.

إذًا من الذي يأتي بكمال التوحيد المستحب؟

هو الذي يعبد الله وحده لا شريك له، فيبرأ من الشرك كله صغيره وكبيره، ويبرأ من البدع كلها، ويبرأ من المعاصي كلها، فإن وقع تاب إلى الله، فيفعل الواجبات ما استطاع، ويترك المحرمات، ويكثر من المستحبات والنوافل، ويترك ما استطاع من المكروهات، ويقوى التوكل في قلبه، حتى لا يتسلل إليه تطيرٌ ولا يسترقي ولا يكتوي ويتوكل على الله توكلًا تامًا، وينجذب قلبه إلى الله حتى يقطع النظر عن الوسائل والوسائط، ولا يشتكي الخلق كما تقدم بيانه.

ثم كل مرتبة في تحقيق التوحيد درجات يتفاوت فيها الناس، فحقيقة التوحيد التي هي المرتبة الأولى هي التي أسماها المقريزي تبعًا أو نقلًا عن أبي حامد الغزالي قشرًا؛ لأن حقيقة التوحيد أول التوحيد، فسماها قشرًا؛ لأن القشر الظاهر أول الثمرة، إذا أتيت ببرتقالة القشر الظاهر هذا أول الثمرة، ثم هناك قشر تحت القشر الظاهر، فأول التوحيد وحقيقة التوحيد قشر بهذا الاعتبار أنها أول الثمرة، قشر ظاهر وقشر باطن.

وتحقيق كمال التوحيد المستحب هو الذي سمي هنا، سماه المقريزي نقلًا عن أبي حامد الغزالي لبًا؛ لأنه غاية المقصود، ويقوم على ما في القلب من كمال التعظيم، وكمال المحبة، وكمال الذل، وما بين القشر واللب هو تحقيق كمال التوحيد الواجب، هذا المراد بهذا الكلام، لكن هذه الألفاظ ليست من مراد السلف وإن كان مقصود المقريزي منها صحيحًا.

وهذا الكلام كله من: [**غير أن التّوحيد له قشرتان**] إلى قوله: [**وهذا التوحيد مقام الصديقين**]، منقول بالنص من كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ومعلوم ما عند الغزالي -رحمه الله تعالى- من الهفوات؛ لكن المقريزي نقل عنه، وهذا من فهمه وذكاءه -رحمه الله-؛ لأنه في زمن المقريزي شاع البلاء في الأمة بعلم الكلام في العقيدة، وصار الذي يعرف عند أكثر من ينتسبون إلى الإسلام العقائد الكلامية، وصار الذي يعتقد عقيدة السلف ويقرر كلام السلف في التوحيد ينبذ ويسب ويؤذى ويُقال له تيمي نسبةً إلى ابن تيمية -رحمه الله-؛ تنفيرًا من العقيدة السلفية، وهكذا هم القوم الذين يخالفون عقيدة السلف وأصول السنة عبر الأزمان، ليس عندهم طريق ينفرون به العامة من العقيدة السلفية الطيبة وأصول السنة وطريق أهل السنة إلا بالتقليب بالنسبة إلى شخص؛ لإيهام الناس أن هذا الشخص هو الذي اخترع هذا، وأن عامة العلماء على غير كلامه، قبل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كانوا ينبذون من يكون على عقيدة السلف بأنه حنبلي نسبةً إلى الإمام أحمد -رحمه الله- مع أن العقيدة السلفية عقيدة الأئمة الأربعة بلا شك؛ لكنهم يريدون تنفير الناس من العقيدة السلفية فيوهمون العامة أن هذه الْعَقِيْدَةِ، إنما هي من اختراع شخص بعينه.

ولازال الأمر كذلك في زمن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وما بعده، ينبذ من يأتي بالعقيدة السلفية ويسير على أصول السنة بأنه وهابي، ولازالوا إلى اليوم يقولون عقيدة وهابية؛ بل إذا سمعوا من يقول -مثلًا-: أن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، إلى أن يقول: فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، قالوا: استفتاحة وهابية، حتى أن أحدهم في دولة من دول الإسلام يخبرني يقول: كنت إذا سمعت شيخًا يستفتح بهذا لا أسمع له أبدًا؛ لأنه وهابي، ولازال -كما قلت- الأمر إلى اليوم تنفيرًا من هذه العقيدة السلفية، ومن أصول السنة، واليوم ينبذون الذي يتمسك بالتوحيد ويعتني بالتوحيد مع التمسك بالمنهج السلفي الصافي ينبذونه بأنه مدخلي، أو جامي؛ تنفيرًا من هذه الْعَقِيْدَةِ.

وهذه العناية التامة بالتوحيد، والعناية التامة بمنهج السلف الصالح -رضوان الله عليهم-؛ ليوهموا الناس أن هذا المنهج وهذا الطريق وهذا الاهتمام إنما هو منسوب إلى شخص بعينه، مع أن والله الذي لا إله إلا هو، أحلف على ذلك غير حانث، وأعلم أن ربي سيسألني عما أقول، نعلم ونوقن أن جميع علمائنا الأكابر على هذه العقيدة، وهذه العناية بالتوحيد، وهذا المنهج السلفي الرشيد؛ لكن هذه طريقة الوم، وإذا رأوا عالمًا أو شيخًا برز وصار له تأثير، وبان علمه، لا يجدون طريقًا إلا بنبذه.

وما يذكرونه عن العلماء لا يخلو من حالين:

الحالة الأولى: أن يكون العلماء عليه حقًا، وهو الذي في كتاب الله، وفي سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأجمع عليه السلف، وهو المحمود شرعًا، فنبذ العلماء به، وذم العلماء به، وسبّ العلماء به هو في الحقيقة مدح، وإنما المذموم من يذمهم به.

وأما أن العلماء لا يقولونه، بل يُنسب إليهم الزور والبهتان، يكذب عليهم، وهنا المذموم هو الكاذب لا المكذوب عليه؛ ولذلك -يا إخوة- إذا رأيتم سب علمائنا ونبذ علمائنا وسب مشايخكم ونبذ مشايخكم فلا تحزنوا، فإن هذا السب لا يضرهم، وإنما يضر أصحابه، ومهما حاول أهل الباطل

حجب الحق عن الناس وإبعاد الناس عن الحق فإن الحق أبلج، وإن الباطل لجلج، وإن الحق منصور وإن قل القائلون به.

في ذلك الزمان عم البلاء بعلم الكلام في العقيدة، فكان من ذكاء الإمام المقريزي -رحمه الله- أن ينقل عن إمام من أئمة أهل الكلام عرف بهذا واشتهر، وإن كان في آخر حياته -رحمه الله- أراد العودة عن هذا حتى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وغيره أن البخاري وعلى صدره صحيح البخاري، كان غافلًا عن هذا الكتاب مع كونه يعد من العلماء، في آخر حياته عرف أن الحق في قال الله وقال رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا في علم الكلام، وأراد العود حتى أنه كان يقرأ في صحيح البخاري كثيرًا حتى مات وصحيح البخاري على صدره.

فبعض العبارات في هذا الكلام ليست من عبارات السلف، وإن كان المعنى صحيحًا والمراد صحيحًا، قد يفهم منه أنه غير مهم؛ لأن هذه عادة الناس إذا أرادوا أن يقولوا هذا الشيء غير مهم قالوا هذا من القشور، فقد يفهم من هذا أن من التوحيد ما هو غير مهم، وأن حقيقة التوحيد غير مهمة، وأظن -والله أعلم- وهذا الذي يظهر لي أن المقريزي -رحمه الله- يدرك ما في هذا الكلام من هذا الإيهام؛ ولذلك قبل أن ينقله قال هذه الجملة النفيسة: [**واعلم أن أنفس الأعمال وأجلّها قدرًا: توحيد الله -تعالىٰ-**]؛ لينبه على أن كل التوحيد الصحيح بمراتبه يدخل في هذا، فليس في التوحيد شيء لا أهمية له بكل مراتبه، فالتوحيد بكل مراتبه أجل الأعمال.

وعلى كل حال فالمراد أن التوحيد مراتب:

الأولىٰ: توحيد في الظاهر دون القلب، وهذا توحيد المنافقين الذين يثبت لهم حكم الإسلام في الظاهر، ويعاملون معاملة المسلمين إلا إذا أتوا بناقض ينقض التوحيد. هذه المرتبة الأولى، وهذا لا ينفعهم عند الله -تعالى-؛ بل هم في الدرك الأسفل من النار -نعوذ بالله من سوء الحال-.

والمرتبة الثانية: توحيد عامة الناس، وهم الظالمون لأنفسهم، وهو توحيد مجمل، هو الإتيان بالشهادتين باللسان مع القدرة مع عبادة الله وحده، والبراءة من الشرك الأكبر، والإيمان بالله،

وملائكته، ورســـله، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ومن أتى بهذا أتى بحقيقة التوحيد، وكان موحدًا، فإذا وجدت حقيقة التوحيد ثبت الإسـلام لمن أتى بها، ويسـتقر إسـلامه إذا سـلم من النواقض.

يا إخوة الإسلام له ثبوت وله استقرار:

الثبوت: بأن يأتي بحقيقة التوحيد.

الاستقرار: بأن يسلم من النواقض.

المرتبة الثالثة: توحيد الخواص من أهل العلم، ومن يأخذ منهم أو يأخذ عنهم من عوام الناس، وهم المقتصـــدون، وهو تحقيق كمال التوحيد الواجب بالقول باللســـان، والاعتقاد بالقلب، وفعل الواجبات بحســـب الاســـتطاعة، وترك المحرمات، وإن شـــئت -كما قلنا- قل تحقيق كمال التوحيد الواجب بالخلوص من شـــوائب الشرـــك، وشـــوائب البدع، وشـــوائب المعاصي، وهؤلاء كما قلنا هم المقتصدون.

والمرتبة الرابعة: توحيد المحسـنين من أهل العلم، ومن يأخذ عنهم ممن دونهم من طلاب العلم والعوام، وهذه مرتبة العلماء الرابنيين الصـــديقين، ومن يأخذ عنهم، وهي مرتبة تحقيق كمال التوحيد المستحب بما قدمنا ذكره.

والتوحيد قد تلحقه نواقض وقد تلحقه نواقص:

أما النواقض: فتلحق حقيقة التوحيد، حيث تهدم التوحيد من أصـــله، وتخرج من يأتي بها أو بواحد منها من دائرة المسلمين إلى دائرة المشركين.

وأمـا النواقص: فتلحق مرتبـة تحقيق كمال التوحيـد الواجـب ومرتبـة تحقيق كمال التوحيـد المستحب، فإن كان النقص بترك واجب أو فعل محرم فهذا يلحق مرتبة تحقيق كمال التوحيد الواجب، وإن كان النقص بترك مستحبات أو فعل مكروهات أو توسع في فضول المباحات أو نقص في التوكل

الكامل لا الواجب فهذا يلحق مرتبة تحقيق كمال التوحيد المُسْتَحَبْ، هذا مقصود هذا الكلام، ونعود إليه نقرأه جملة جملة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: [غير أن التّوحيد له قشرتان].

(الشرح)

كما قلنا التوحيد مع كونه أنفس الأعمال وأجلّ الْأَعْمَالِ؛ فإنه ليس على مرتبة واحدة، فالتوحيد له قشران، أي: أولان؛ لأن القشرة أول الثمرة، فهما أول التوحيد، وهما أمران أولان أحدهما ظاهر والآخر تحته باطن، ولابد من اجتماعهما، أما إن وجد الظاهر دون الباطن فهذا توحيد المنافقين، وإن وجد الباطن دون الظاهر مع القدرة على الظاهر فهذا توحيد لا ينفع صاحبه؛ بل لابد من اجتماع الظاهر واجتماع الباطن.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: [الأولىٰ: أن تقول بلسانك: لا إله إلاّ الله، ويسمّىٰ هذا القول توحيدًا].

(الشرح)

هذا الأمر الأول في حقيقة التوحيد، وهو: أن يقول العبد بلسانه أشهد أن لا إله إلا الله، وهذا يستلزم أن يشهد أن محمدًا رسول الله، لا يثبت التوحيد لمن يشهد أن لا إله إلا الله ولا يشهد لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة بعد بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهٰذَا يُسَمَّىٰ توحيدًا؛ لأنه يجعل الإله واحدًا، يقول هذا بلسانه، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمرتُ أن أُقاتل أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ حتىٰ يَقولوا لا إله إلا اللهُ»، متفق عليه.

ومعنى: «حتىٰ يَقولوا لا إله إلا اللهُ»، حتى يوحدوا الله، الجملتان سواء: حتى يقولوا لا إله إلا الله، حتى يوحدوا الله.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ -رضي الله عنه-: «إنَّكَ سَتَأْتي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إلىٰ شهادة أَنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ»، رواه البخاري، وعند مسلم: «تدعوهم إلىٰ شهادَةَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأَنِّي رسولُ اللهِ»، وفي رواية عند البخاري: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إلىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ»، فهذا بين ما ذكرناه أن لا إله إلا الله يساويها أن يوحد الله -سبحانه وتعالى-، وهذا هو معناها.

والمقصود هنا: أن هذا سمي توحيدًا، أن يقول الإنسان لا إله إلا الله.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: [وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارىٰ].

(الشرح)

هذا القول يدفع كل تشريك في الألوهية، إذا قال الإنسان لا إله إلا الله فمعناها لا معبود بحق إلا الله، فيدفع كل تشريك في الألوهية.

ومن أمثلة ذلك: أنه يناقض التثليث الذي يعتقده النصارى، فيقولون الأب والابن والروح القدس، وهذا مثال.

كذلك مثلًا: يناقض من يجعلون إلهًا للنور، وإلهًا للظلمة، ونحو ذلك، المقصود أنه يدفع كل تشريك في الألوهية.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: [وهذا التّوحيد يصدر أيضا من المنافق الذي يخالف سرّه جهره].

(الشرح)

من قال لا إله إلا الله فهذا أتىٰ بالقشر الأول، وأتى بالتوحيد الظاهر، وحكم له بحكم المسلمين؛ لكنه إما أن يقتصر على الظاهر دون الباطن، وإما أن يأتي بالقشر الظاهر والباطن، فإن اقتصر على

الظاهر دون الباطن فهو المنافق الذي ينفعه هذا في الدنيا، بحيث يعامل معاملة المسلمين، ولا يقتل، لكنه لا ينفعه شيئًا عند الله؛ بل يخزيه الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ حتى يكون في الدرك الأسفل من النار.

(المتن)

↩ قال رَحِمَهُ اللهُ: [والقشرة الثانية: أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول، بل يشتمل القلب علىٰ اعتقاد ذلك والتصديق به].

(الشرح)

أن يأتي بالقشر الْظَّاهِر، ويأتي بالقشر الباطن على ما عبر به هنا، فيأتي بحقيقة التوحيد، فمن وحد الله ولم يشرك به شركًا أكبر، وكان مؤمنًا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله وجدت منه حقيقة التوحيد، فكان موحدًا إذا كان في قلبه اعتقاد أنه لا يستحق العبادة إلا الله مع قول ذلك بلسانه أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ولا يوجد في قلبه ما ينقض ذلك، ويكون متيقنًا من ذلك، قابلًا له، صادقًا في ذلك، محبًا لله، منقادًا لله، توجد منه حقيقة التوحيد، فيكون موحدًا، وكما قلنا يثبت له التوحيد حقيقة، فإن سلم من النواقض استقر توحيده، فإن مات على ذلك مات على التوحيد.

(المتن)

↩ قال رَحِمَهُ اللهُ: [وهذا هو توحيد عامة الناس].

(الشرح)

أي: أن عامة الناس يأتون بهذا التوحيد؛ ولكن يكون عندهم تقصير في تحقيق التوحيد، لا يمكن أن يكون مسلمًا إلا إذا أتى بحقيقة التوحيد، فعامة الناس الذين على الإسلام حقيقة هم الذين أتوا بحقيقة التوحيد، ثم قد يأتون بشيء من كمال التوحيد الواجب، وقد لا يأتون بشيء من كمال التوحيد المستحب، أي: ما يزيد على كمال التوحيد الواجب.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: [ولُبَاب التّوحيد: أن يرىٰ الأمور كلها لله -تعالىٰ-، ثم يقطع الالتفات إلىٰ الوسائط، وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها، ولا يعبد غيره].

(الشرح)

أظن أنكم تذكرون هذه الجملة أو هذا المقطع من الكلام؛ لأنه تقدم معنا أنه حقيقة التوحيد، سبق أن ذكر المصنف أنه حقيقة التوحيد، إلا أنه زاد هنا جملة مهمة جدًّا، وهي قوله: [وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها، ولا يعبد غيره]، وهذا إكمال للجملة السابقة؛ لأن الجملة السابقة عن حقيقة التوحيد كانت ناقصة، ناقصة هذا الركن العظيم، وهو: أن يعبد الله وحده وألا يعبد غيره أبدًا، فهذه الجملة أكملت النقص الذي كان في الجملة السابقة التي ذكر المصنف أنها حقيقة التوحيد. وهذه حقيقة التوحيد، أي: أن هذا لب التوحيد، وأعظم المقصود، وغاية المقصود، وقد شرحنا هذه الجملة سابقًا، وشرحناها الآن في بيان مرتبة تحقيق كمال التوحيد الواجب ومرتبة تحقيق كمال التوحيد المستحب.

لعلنا نقف عند هذه النقطة، ثم -إن شاء الله عزَّ وجل- في المجلس القادم نعلق على ما بقي من كلام هذا الإمام، وهذا الكلام -كما قلنا- منقول من كتاب إحياء علوم الدين، هذا الكتاب -كما ذكرت سابقًا- كتاب نفيس جدًّا، وهو -كما قلنا- أول كتاب نعلم أنه أفرد في توحيد الألوهية، وفيه تقسيمات بديعة جدًّا، وستأتينا -إن شاء الله عزَّ وجل-، والجمل المذكورة فيه إذا فهمت على وجه صحيح يتمكن معها طالب العلم من بيان التوحيد، والرد على من يخالف في توحيد الألوهية.

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يفقهنا في دينه، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يرزقنا ويكرمنا بممرتبة تعليم الناس العلم النافع وأعلاه وأجلاه توحيد رب العالمين -سبحانه وتعالى-، وأن يعيذنا وإياكم من شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أســـأل الله أن يكفي عموم المســـلمين شرور قطاع الطرق الـذين هم أشر قطـاع الطرق على الإطلاق، الذين يحولون بين عموم الناس وأهل العلم والشـيوخ، ويحولون بين عموم الناس والحق، أسأل الله أن يكفي الأمة شرورهم، وأن يجعلنا من عباده العالمين العاملين.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَسَلَّمَ.